

الرحلات ودورها في ازدهار الحركة العلمية في بغداد خلال القرن (الرابع والخامس الهجري)

Journeys and their role in the flourishing of the scientific movement in Baghdad during the fourth and fifth centuries AH

أ.م.د. رشا عبد الكريم فالح *

جامعة البصرة -مركز دراسات البصرة والخليج العربي/ العراق -

Rashareem200060@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/02/24 تاريخ القبول: 2023/03/08 تاريخ النشر: 2024/01/01

الملخص

عرف الانسان الرحلة منذ القدم لتلبية حاجاته لتوفير مستلزمات الحياة والعيش في مكان أفضل من المكان اخر وحب التنقل من مكان لأخر حبا للاستطلاع والكشف عن خفايا الطبيعة لهذا عدت جزءا اساسياً من حركة الحياة وسبب من اسباب تطور الانسان الحضاري بشكل عام. فكانت الرحلات احدى الوسائل للاتصال والتواصل الفكري بين بغداد ودول العالم وخاصة ان بغداد كانت منطقة لجذب العلماء والشعراء اذ وصل التطور الفكري ذروته زمن الدولة العباسية بسبب رعايتهم للعلم والعلماء زيادة عدد المساجد وفتح ابواب المدارس للتعليم وبناء العديد من المكتبات التي انعكست بدوها على جذب هؤلاء العلماء من مختلف البلدان للتزود بمختلف انواع العلم والمعرفة. الكلمات الافتتاحية: بغداد، الخلفاء العباسيين، الرحلة، المكتبات، المدارس، المساجد.

Abstract

Man has known the journey since ancient times to meet his needs, to provide the necessities of life, to live in a better place than another, and the love of moving from one place to another for the love of exploring and revealing the mysteries of nature.

Trips were one of the means of communication and intellectual communication between Baghdad and the countries of the world, especially since Baghdad was a region to attract scholars and poets, as intellectual development reached its climax during the Abbasid state because of their care for science and scholars, increasing the number of mosques, opening the doors of schools for learning, and building many libraries, which were reflected in their Bedouin in attracting these scholars from Different countries to provide different types of science and knowledge.

Key words: Baghdad, the Abbasid caliphs, the journey, libraries, schools, mosques

المقدمة:

مما لا شك فيه ما للأثر التاريخي لمدينة بغداد في عهد الخلافة العباسية كونها تعتبر مركز الخلافة ومدينة العلم والعلماء اذا تميزت منذ بنائها ببروز الحركة العلمية وقربها من المراكز العلمية مثل الكوفة والبصرة بالإضافة لتشجيع الخلفاء العباسيين وبعض من الأمراء الأثر الكبير في الرحلة لبغداد للعديد من طلاب العلم والمعرفة، اذ كانت حلقة الوصل بين علماء بغداد وطلبة العلم من الامصار هي الرحلات، بالإضافة لكثرة المراكز العلمية والثقافية كالمساجد والمدارس وخزائن الكتب ومناظرات الخلفاء والولاة والوزراء العلمية ومجالس العلماء ساهمت بشكل كبير في التطور والنهوض العلمي والانفتاح الحضاري والفكري للدولة الإسلامية. لفتت تلك المقومات الانظار لشدة الرحال لبغداد من لقبل العديد من العلماء للتزود بمختلف انواع العلم والمعرفة وهذا بدوره ساهم في هذا التواصل فكانت الرحلات بمختلف اصنافها (علمية او جغرافية ودينية او استطلاعية) الاثر الكبير في النهضة العلمية والفكرية في بغداد وانتقالها لمختلف دول العالم.

وبسبب جهود الخلفاء التي ساهمت في خلق حالة الاستقرار والازدهار في بغداد دفع العديد من العلماء الى الرحلة والتواصل العلمي والفكري إذا كان ذلك من اهتمامات الخلافة العباسية فكان للرحلة أهمية كبيرة في تطور الحركة العلمية. اذ تعتبر الرحلات من أهم وسائل الاتصال التي موجودة بين علماء بغداد وعلماء البلدان الاخرى خلال تلك الفترات.

فتعددت الرحلات منها دينية او سياسية او جغرافية او علمية والتي بدوها ساهمت بشكل او بأخر في انعاش الحركة العلمية والفكرية في المنطقة ومن هنا كانت الرحلات العلمية إحدى أهم الوسائل للمعرفة قام بها العلماء لطب العلم والمعرفة بين أرجاء الدولة الإسلامية، فعلى الرغم من الصعوبات التي واجهتهم تحملوا كل ذلك من اجل التزود بالعلم فشكل هؤلاء حلقة الاتصال بين حواضر الدولة العربية الإسلامية وأطرافها، اذ لجهودهم أثر كبير في نقل المؤلفات سواء أكانت في العلوم العقلية أم النقلية وبفضلهم أصبح التواصل العلمي والفكري في أوج عظمته، ولأهمية الرحلات العلمية فقد تناولت موضوع بحثي (اثر الرحلات العلمية في تطور الحركة العلمية في بغداد خلال القرنين الرابع والخامس الهجري).

وقد تضمن البحث مقدمة ومبحثين وخاتمة

تناول المبحث الأول الرحلة لغة واصطلاحاً، دوافع الرحلة ونشئها، أنواع الرحلة، اما المبحث الثاني فتضمن، اسهامات الخلفاء العباسيين، ودور المساجد والمدارس والمكتبات في انعاشها)

ان طريقة البحث هي التحليل للنتائج وعلى الرغم من بعض الصعوبات التي واجهتني في البحث لكن تمكنت من تجاوزها بالبحث المتأنى عن المصادر المهمة ما يحتاجه إعداد هذا البحث قدر الإمكان.

اعتمدت في بحثي على مصادر ومراجع كثيرة، تنوعت في أهميتها وفائدتها.

وسأتناول في بحثي أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في ثنايا البحث وفقاً لأهميتها وقدمها الزمني.

منها الكتب الجغرافية التي اغنت البحث ببعض المعلومات القيمة مثل كتاب **الاصطخري**، **ابو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي (ت346هـ/957م)**، **المسالك والممالك** ، وكتاب **المقدسي**، **شمس الدين ابي عبد الله بن ابي بكر البنا (ت367هـ/1977م)** أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، **وغيرها من كتب الجغرافيين والبلدانيين** وكتب التاريخ فقد أغنت البحث ومنها كتاب المنتظم في تاريخ الملوك والامم لابن الجوزي جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن البغدادي (ت597هـ/1200م) وهو كتاب موسوعي عمد فيه مؤلفه الى ان يحوي معلومات تاريخية لا حصر لها.

وكتاب معجم البلدان، لياقوت الحموي (ت626هـ/1229م) الذي امتاز بشهرة واسعة بين طلاب العلم والمعرفة، ورد من مادة تاريخية في كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي فقد استقى معظمها من كتاب فتوح البلدان للبلاذري. اما كتاب الكامل في التاريخ لأبن الأثير، أبي الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم (ت630هـ/1232م) فيعد مصدرا مهما، وأسد الغابة في معرفة الصحابة.

اما كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت748هـ/1347م) يحتوي هذا الكتاب مجموعة كبيرة من تراجم العلماء والمفكرين وحركتهم العلمية وتنقلاتهم إذ تتسم بالشمول. و كتب اللغة والأدب فكان كتاب لسان العرب لابن منظور، جمال الدين أبي الفضل محمد (ت711هـ/1311م) لأنه من المصادر المهمة التي اعتمدنا عليها في كثير من المواضع لحاجتنا الى المعجم اللغوي، فضلاً عن ان فيه مادة تاريخية مهمة لا يمكن ان يستغني عنها الباحث. ولا بد من الاشارة الى بعض المراجع المهمة التي استخدمت في البحث كان من اهمها واحمد امين كتابه ضحى الاسلام وقد افادت هذه المراجع البحث في كثير من المواضع.

المبحث الأول:

1. الرحلة لغة واصطلاحاً

الرحلة لغة : فهي التنقل وفعلها رحل يرحل ومصدره الرحيل أي ذهب وانتقل وهي الجهة التي قصدها المسافر والرحلة بكسر الراء ، اسم للارتحال ويقال : " ارتحل القوم عن المكان ارتحالا " ورحل عن المكان يرحل وهو ترحل من قوم رُحْل، انتقل . ورحل فلان وارتحل وترحل ⁽¹⁾ ؛ ويقال فلان عالم رُحْلة يرتحل اليه من الافاق ، يرحل اليه طلبة العلم من الافاق " ⁽²⁾ .

الرحلة اصطلاحاً : ويقصد بها الانتقال من مكان الى مكان لتحقيق غاية من الغايات ⁽³⁾. وهي مرادفة لكلمة السفر اذ اشار ابن منظور : " السفر خلاف الحضر ، ⁽⁴⁾ ، اما الغزالي فقد ذكر ان صاحب الرحلة اما ان يكون راحلا بسبب مزعج له او لطلب غرض ما كالعلم أو غيره ، وفيه الكثير من الفوائد ⁽⁵⁾

اذ يرى احد الباحثين ان الرحلة هي ذلك اللون من التأليف الذي يجمع فيه بين الدافع الوجداني العميق والتأمل الدقيق في رصد المشاهدات والظاهر بدقة ⁽⁶⁾

ان الله سبحانه وتعالى جعل منافع كثيرة في الدنيا احدهما مكمل للأخر انطلاقا من هذا قامت الرحلات ومن فوائدها الحصول على الكثير من العلوم والخبرات والتعرف على عظمة الله وحكمته (7) قال تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) (8) ، فتوجهت انظار العديد من الناس من ضمنهم العرب الى الرحلات لعدة اسباب منها دينية لغرض الحج او علمية لأغراض التزود بالعلوم والمعرفة او سياسية اجبرتهم على ذلك (9) .

يتضح لنا ان الرحلة اتت بمعنى الانتقال والمسير الى مكان يقصده المسافر لغرض معين سواء كان هامة او خاصة في محاولة لمعرفة المجهول .

2.نشوء الرحلة ودوافعها:

عرف الانسان الرحلة منذ القدم لتلبية حاجاته لتوفير مستلزمات الحياة والعيش في مكان أفضل من المكان اخر وحب التنقل من مكان لأخر حبا للاستطلاع والكشف عن خفايا الطبيعة لهذا عدت جزءا اساسياً من حركة الحياة وسبب من اسباب تطور الانسان الحضاري بشكل عام.

اذا كانت ذات اهمية كبيرة منذ ولادة الانسان على وجه الارض فهو مجبولا للبحث عن مصادر رزقه والتنقل لأجل ذلك ولقد كانت اساطير الاولين مملوءة بالتحدث عن رحلاته بالإضافة الى الحروب والفتوحات القديمة (10)

اذ تبين ان الانسان منذ ولادته مجبولا بالتنقل والترحال ، وفي الآيات القرآنية اشارت عديدة عن الرحلات منذ القدم سواء كانت برية او بحرية منها رحلة النبي نوح (عليه السلام) بعد الطوفان ، قال تعالى " وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم ، وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين (11)

فارتبطت بتاريخ العرب في العصور الجاهلية رحلة الشتاء والصيف ،وقد اشار اليها القرآن الكريم ، قال تعالى "لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وامنهم من خوف" (12) . وهي من الرحلات التي ارتبطت باسم قريش وكانت موسمية في فصلي الصيف والشتاء وكانت لأغراض التجارة بالمرتبة الاولى (13) .

فلم تتركز الرحلات على التجارة وانما ايضا كان للشعراء والفقهاء والعلماء دور كبير فيها وخصوصاً سفرهم لبلاد الروم ومدح القياصرة هناك مما اثروا وتأثروا بفنونهم (14) .

وهذا مما لا شك فيه ان الطبيعة الصحراوية للبلاد العربية تتطلب التنقل والترحال من مكان الى اخر بحثا عن العشب والماء والصيد، وبعد مجيئ الاسلام كان الدافع للرحلة هو لنشر الدين الاسلامي وللتعرف على

الامم المجاورة والاستفادة من تجاربهم انطلاقاً من قوله تعالى " قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . (15) . وهناك العديد من الآيات القرآنية التي تحت على الرحلة سواء لأجل الكسب أو التعلم على تجارب الامم السابق أو لأغراض اقتصادية أو لأجل التعرف على انواع الديانات التي اعتنقوها. (16)

وباتساع رقعة الدولة العربية الاسلامية اتسع اتصالها بالبلدان المحيطة وهذا بدوره يساعد على الاتساع النشاط التجاري والعلمي فقد تعرفوا على العديد من البلدان عن طريق الرحلة ولاستكشاف بلدان اخرى ومعرفة خفاياها.

لم تقتصر فائدة الرحلة على الاستكشاف وانما كانت ثمارها كانت في تدوين مشاهداتهم عن البلدان التي زاروها وعن طبائع تلك البلدان وعاداتهم وتقاليدهم فظهرت المدونات والكتب ومؤلفات عديدة ساعدت على اكتشاف تلك البلدان من خلال المشاهدات سواء كانت جغرافية أو تاريخية أو اجتماعية أو ادبية أو ثقافية أو علمية أو سياسية أو اقتصادية أو شخصية مهما كانت اغنى الفكر العربي بالمعلومات القيمة.

وبذلك اعطت لنا الرحلة صور للمعارف المتنوعة التي اصبحت مصدر لدراسة العالم الاسلامي إذا امدتنا بالمعارف كافة عن البلدان التي وصل اليها الرحالون.

لقد ارتبط التحصيل العلمي بالرحالة منذ فجر الدعوة الاسلامية فأصبح التحصيل العلمي مرتبطاً ارتباطاً كبيراً بالرحلة ونادراً عالماً لا يقوم بالرحلة , ولم يكن اقتصار الرحلة على طلبة العلم وانما ايضا كانوا يسافرون الى طلابهم لتثقيفهم وافادتهم من علمهم انطلاقاً من قول الرسول (ص واله) "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" (178) فلقد كان للرحلة الاثر الكبير في نهضة الحضارة وازدهارها بشتى انواعها تطور الحركة الفكرية .

لقد اطلق على الرحالة في القرن الثالث الهجري اسم الرحالة الشفهيين (189) بسبب ان معظم رحلاتهم لم يقوم اصحابها بتسجيلها، وانما دونها غيرهم من الكتاب مستعينين بالاخبار المنقولة بشكل شفهي .

اما في منتصف القرن الثالث الهجري فقد تطورت اذ اصبحت الرحلات للعاملين في الوظائف الادارية في الدولة فكانون يدونون ويصورون المناطق التي تحت ادارتهم من حيث ادارتها ومسالكها وطرقها وسكانها وحاصلاتها وخارجها لتساعد غيرهم من الاداريين في ادارة اعمالهم وهم يمثلون (190) البداية الحقيقية لعلم البلدان (201).

ومن ثم بدأت بالتطور وتؤثر في بشكل كبير في العقلية العربية بعد توسع رقعة الدولة العربية الاسلامية وعلى الرغم من مخاطرها والصعوبات التي ترافق الرحلة في تلك الفترات (212)

3. انواع الرحلات :

أ . رحلة الحج :

كان للمكانة الاقتصادية التي تمتعت بها مكة قبل الاسلام لدى الكثير من العرب باعتبارها المركز الديني والتجاري في الجزيرة العربية للحج والتجارة بالإضافة لكونها مركزا فكريا تتسابق فيه الشعراء والخطباء والبلغاء (22) وقد كان العرب قبل الاسلام يحجون الى مكة ، وعندما جاء الاسلام اصبح الحج فريضة على كل مسلم لمن أستطاع لذلك سبيلا (23)، لقوله تعالى: (وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ اِلَيْهِ سَبِيْلًا) (24) فأصبحت مكة والمدينة مركزين كبيرين لالتقاء المسلمين من جميع ارجاء العالم الاسلامي وغيره ويهدف طلب العلم او اداء فريضة الحج او لترويج بضاعة ، وقد يجمع الحج جميع هذه الأغراض (25) .

ب . رحلة التجارة :

لقد عرف العرب قبل الاسلام وعند ظهوره الرحلات التجارية اذ كانت مكة المركز التجاري آنذاك وكان لها متابعة نشطة للرحلات والاسفار (26) فقد قام اهل مكة بعقد العديد من الاتفاقيات والمعاهدات التجارية لأجل حماية تجارتهم وتأمينها فامنوا بذلك حركة قوافلهم الى بلاد الشام واليمن وتحددت رحلتهم الى بلاد الشام وغيرها في الصيف ، والى بلاد اليمن وغيرها في الشتاء (27) وبظهور الاسلام وبناء الامصار الجديدة اخذت التجارة تتطور بشكل كبير ونشطت مسالك الطرق تبدا من هذه الامصار ، واليها تنتهي ، ومن امثلة على ذلك بما يخص أهمية موقع هذه المدينة او تلك في كتب التاريخ (28) اخذ اكثرهم يربط بين الرحلات العلمية والتجارية ، فكتب التراجم مزدهرة باسماء العديد الرجال الذين اهتموا بالعلم والتجارة فجابوا المشرق والمغرب من اجل الغرضين معا (29) .

ج . رحلة طلب العلم :

للدين الاسلامي الدور الاكبر في تحفيز العديد من المسلمين للرحلة في طلب العلم اذ اكد القرآن الكريم عليها ، حتى انه وصف رحلة طلب العلم بالبشير والنذير (30) فكان لعلم الحديث الدور الكبير في ازدهار الرحلة في طلب العلم اذ هي وليدة هذا العلم فالمعروف ان الحديث الشريف هو المصدر التشريعي الثاني بعد القرآن الكريم ، وان الاهتمام بدقة روايته وضبطه من الامور المهمة لذلك كان الصحابة يأخذون الحديث عن الرسول (صلى الله عليه واله) سماعا من لفظه في مختلف المناسبات ، او من فعله ، او من تقريره ، كما ان عبد الله بن عباس (رض) (ت 68 هـ / 687م) كان لا يسمح بالحديث عن الرسول (صلى الله عليه واله)

بمجرد ان يقول الراوي قال الرسول (صلى الله عليه واله) كذا : وقال كذا ، ولذلك فان الصحابة عملوا جاهدين منذ البداية على التحري والدقة في ضبط الاحاديث النبوية وطلب الشهادة على السماع ⁽³¹⁾ .

وعند توسع عملية الفتوحات الاسلامية في الكثير من الامصار وظهرت البدع وأخذ كل فريق من اهل البدع من الحديث وسيلة لأثبات دعواه ، واسلوبا من اجل كسب العامة من الناس ، فذكر ابن سيرين المتوفى (110هـ / 728م) : " لم يكونوا يسألون عن الاسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سمو لنا رجالكم فينظر اهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر الى اهل البدع فلا يؤخذ حديثهم " ⁽³²⁾ ، وعلى كل حال فقد بات من الضروري السؤال عن الرواة ويات الاسناد مهماً عند كل رواية لحديث او خبر عن الرسول (صلى الله عليه واله) حتى عُد الاسناد من الدين ⁽³³⁾ ، وبذلك نشأ (علم الرجال) او (علم الجرح والتعديل) وهو العلم الذي ميز الحضارة الاسلامية من غيرها فلم تشهده اية حضارة اخرى فقد مثل اداة منهجية فاعلة في نقل العلوم الاسلامية المختلفة ⁽³⁴⁾ .

كانت رحلة العلماء الى مختلف أنحاء العالم الإسلامي شرقا وغرباً الشرقي والغربي من المظاهر الحضارية الواضحة في مختلف العصور الإسلامية، وكان طلب العلم والتزود منه احد الأسباب الرئيسة التي دفعت العلماء وطلاب العلم على حد سواء إلى الرحلة، فضلاً عن أداء فريضة الحج، وترجع اهمية الرحلة من خلال ان الدين الإسلامي اكد عليها ومعتقيه بالرحلة لطلب العلم وقد وجه الله سبحانه وتعالى انظار المسلمين الى ذلك في محكم كتابه الكريم بقوله : وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ⁽³⁵⁾ .

وعن نبي الله (صلى الله عليه واله) في تشجيع الرحلة طلباً للعلم بقوله : ((من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله تعالى حتى يرجع)) ⁽³⁶⁾ ، وهكذا نرى ان للرحلة العلمية أهمية كبيرة ودرجة رفيعة عند الله ورسوله ، فطالب العلم الذي يرحل في سبيل طلب العلم والحصول عليه مكانة مرموقة وينزله الله (جل علاه) منزلة المجاهدين في سبيله ، ومن جانب آخر كانت الرحلات العلمية من الوسائل المهمة للالتقاء بالعلماء والمشايخ والتدارس والتناظر وعقد المجالس العلمية ، فهي لا بد من ان تكون لطالب العلم ، ليكتسب اكبر قدر ممكن من الفائدة العلمية ، وليتعرف على آراء وأفكار كبار العلماء في عصره ومدارسهم وكتبهم ومؤلفاتهم ، وبذلك فالرحلة كما يرى ابن خلدون ((لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد، والكمال بقاء المشايخ ومباشرة الرجال)) ⁽³⁷⁾ .

كما أولى المسلمون اهتماماً بالغاً بتدوين الحديث ، فلا توجد سيرة لمحدث إلا مرتبطة برحلات عديدة، فقد تميز أئمة العلم في الإسلام، وخاصة أئمة الحديث بكثرة الرّحال وملازمة الأسفار، مهما يكن طول المسافة والمشقة التي قد يتحملها لكي يسمع منه⁽³⁸⁾. لما للرحلة من أهمية بالغة في تحصيل علو الإسناد وقدم السماع ولقاء الحفاظ والمذاكرة لهم والاستفادة منهم⁽³⁹⁾. فتشير المصادر الى أن خالد بن زيد أبا أيوب الأنصاري (ت 52هـ / 672م)، على تقدم صحبته وكثرة سماعه من رسول الله ﷺ رحل إلى صحابي من أقرانه من المدينة إلى مصر في حديث واحد، ولو اقتصر على سماعه من بعض أصحابه لأمكنه⁽⁴⁰⁾، كما روي عن سعيد بن المسيب (ت 94هـ / 713م)، قوله: "إني كنت لأسافر مسيرة الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد"⁽⁴¹⁾.

فأصحاب الرحلة في طلب العلم قد واجهوا الكثير من الصعوبات والمشاق للحصول على الاحاديث من افواه الشيوخ فذكر عن سعيد بن المسيب (ت 94هـ / 712م) أنه قال : " كنت لاسير ثلاثا في الحديث الواحد " ⁽⁴²⁾ أي ثلاث ليال ، وورد ان جابر بن عبد الله خرج الى الشام من اجل حديث واحد لم يسمعه ⁽⁴³⁾ اذ ان فالرحلة في طلب العلم لم تكن قاصرة على طلب الحديث وانما تعدته الى طلب جميع العلوم العقلية والنقلية فيما بعد واصبحت الرحلة ميزة من ميزات طلب العلم لعدة قرون ، وبها تكتمل عدة العالم ومشخته حتى انهم استصغروا شان من لم يرحل عن بلده فقالوا : " لا يستطاع العلم براحة الجسم " ولهذا كانت الدعوة قوية للرحلة بعد ان يتم طالب العلم لقاء مشاهير شيوخ بلده ويستكمل علومه ومعارفه منهم ⁽⁴⁴⁾ وقد ذكر ابن الصلاح ان على طالب العلم " اذا فرغ من سماع العوالي والمهمات التي ببلده فليرحل الى غيره " ⁽⁴⁵⁾.

فاشار ابن خلدون : " ان الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم " ⁽⁴⁶⁾ ، فالرغم من الاهمية للرحلة وفوائدها العلمية ، الا أن البعض قلل من قيمتها ويعتبرها انها لا قيمة لها ⁽⁴⁷⁾ . اما اهم ما ينتج عن الرحلة من فوائد منها :

- 1 . اصبح العالم الاسلامي وكأنما مدينة واحدة لا يوجد مانع للعالم من التجوال فيه .
 - 2 . صهر الروايات في قالب واحد من خلال تقريبها .
 - 3 . وحدة التشريع ووحدة الاعتقاد .
 - 4 . التأكيد على سلسلة الاسناد واطافة اسم الراحل الى نهاية السلسلة لتثبيت انه سمع فعلاً ما يرويهِ ⁽⁴⁸⁾
- فبغداد تعتبر منطقة جذب للعديد من العلماء وطلاب العلم ليتزودوا بزد العلم منها وجلسوا إلى شيوخها ليأخذوا منهم الفقه والحديث وعلوم اللغة ، فهي مركزاً مهماً من مراكز الاستقطاب العلمي منذ البداية بين المشرق والمغرب، فوصفها الحموي بقوله : ((بغداد جنة الأرض ، ومدينة السلام وقبة الإسلام ، ومجمع الرافدين وغرة البلاد .. ومعدن الظرائف وللطائف، وبها أرباب الغايات في كل فن)). ⁽⁴⁹⁾

فتمتعها بشهرة واسعة وسمعة علمية، وما عرف عن علمائها، جعل لها مكانتها الخاصة في الحضارة الإنسانية وجعل علمائها مقصدا لطلبة العلم والمعرفة.

فالرحلات العلمية التي قام بها العلماء كثيرة ومستمرة لحقب طويلة ، فكانوا يجيبون البلاد المختلفة ، و يقصدون أكثر المواطن علماً ، ويزورون ابرز العلماء وأشهرهم ، وبالتالي يعودون إلى مواطنهم الأصلية ، وبعضهم يفضل البقاء في المراكز التي توجهوا إليها مكانتها سواء كانت دينية او علمية حتى يعرفوا ويلقبوا باسم المدينة التي بقوا فيها. (500)

ويعتبر القرن الثالث للهجرة عصر ازدهار الرحلة في طلب العلم فركز العلماء والرواة جهودهم لجمع الحديث النبوي الشريف وميزوا بين الصحيح وغيره من الاحاديث (51) .

فبغداد تعتبر القبة العلمية في نظر العديد من العلماء في مختلف البلدان الإسلامية ، وفي مقدمتهم ابن حزم الأندلسي الذي يقول: ((وهذه بغداد حاضرة الدنيا ومعدن كل فضيلة ، والمحلة التي سبق أهلها الى حمل ألوية المعارف ، والتدقيق في تصريف العلوم ، ورقة الأخلاق ، والنباهة والذكاء ، وحدة الأفكار ، ونفاذ الخاطر)).(52)

اذ ان هدف الرحلات العلمية لقاء الشيوخ ، وقراءة وسماع وحمل المؤلفات في فنون العلوم المختلفة عنهم ، ومن ثم إدخالها إلى البلاد التي قدموا منها بطريق الرواية المشهورة ، وبالأسانيد المتصلة دون انقطاع (53) ، وبذلك الطريقة تم تواصل علماء العالم الإسلامي مع بغداد ولعدة قرون ، فنتج عن الرحلات العلمية تطور العلاقات الثقافية بين البلدان الإسلامية ، وفي القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي كان العديد من طلاب الرحلات العلمية القادمين الى بغداد ينظرون بلهفة للدراسة فيها ، والتعلم للعديد من العلوم ، على يد علمائها الذين اشتهروا بقدرتهم العلمية الواسعة ، وبذلوا من اجل ذلك كل الجهد على الاستمرار، حتى اذا ما انتهت مرحلة تلقي العلم ، بدأت لدى من بقي من الطلبة في بغداد او العائدين من رحلاتهم العلمية الثقة العالية بإمكانياتهم العلمية المكتسبة.

فالرحلة من أجل طلب العلم من أهم مزايا الحياة العامة في أنحاء العالم الإسلامي كافة ، اذ تعد مطلب مهم للوصول للمعرفة للكثير من المعارف والعلوم والثقافات، التي أصبحت لها دور مهم في تقوية العلاقات الفكرية والثقافية بين أرجاء العالم الإسلامي شرقا وغربا، وساعدت على اظهار وحدة أقاليم الدولة الإسلامية فالاهتمام بالرحلة من أجل العلم ساعد على اثناء الحياة الفكرية في القرنين الثالث والرابع الهجريين، فسهل ذلك عدم وجود الحواجز بين البلدان آنذاك ، ومن أجل خدمة الحركة العلمية العربية الإسلامية، والدليل على ذلك كثرة الشواهد الموجودة في كتب التاريخ والتراجم والقرآن الكريم نفسه يحث على الرحلة لهذه الغاية السامية بقوله تعالى: " فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ "(54). كما حث الرسول الكريم (صلى الله عليه واله) على الرحلة في سبيل طلب العلم بقوله (صلى الله عليه واله) : " من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع "(55).

ومهما بلغت مكانة العلماء الذين تتلمذ على أيديهم فيعلم غير تام إلا بالرحيل إلى المراكز العلمية المعروفة، التي كانت متعددة في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي، ومنها مدينة، اذ كان العلماء تراودهم فكرة أن العلم لا وطن له

وإيماناً منه بأن طلب العلم لا نهاية له، والعالم مهما بلغ علمه وارتفع شأنه، فسيجد عند غيره معارف وفوائد أو زوائد، قد لا تكون عنده⁽⁵⁶⁾.

فلا تكاد تقرأ ترجمة كبير من المحدثين إلا وتجد ان جزاءً عظيماً من حياته يتضمن رحلته إضافة إلى ما كان بينهم من مراسل⁽⁵⁷⁾، وبهذا أصبحت الرحلة أحد مناهج المحدثين في طلب العلم، ويشير أحد كبار الصوفية الزهاد ويدعي إبراهيم بن آدم إلى "أن الله يرفع البلاد من هذه الأمة برحلة أصحاب الحديث"⁽⁵⁸⁾.

ويذكر البعض ما للرحلة من أهمية في اكتساب العلم والتزود به فينقل لنا ابن عبد البر قولاً للشعبي قال فيه "لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن لسمع كلمة حكمة ما رأيت أن سفره ضاع"⁽⁵⁹⁾، بالإضافة إلى أهميتها في اكمال المعرفة فزيادة عدد شيوخ العالم تزداد معلوماته العلمية وفي هذا الصدد ذكر ابن خلدون⁽⁶⁰⁾ بالقول: "إن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارةً علماً وتعليماً والقاءً وتارةً محاكاةً وتلقيناً بالمباشرة إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاماً وأقوى رسوخاً فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها".

فهدف العلماء يهدفون من تلك الرحلات تبادل الخبرات والمعلومات واختيار الأفكار والنظريات فكانوا يسعون أيضاً إلى اللقاء مع من يخالفهم في المذهب أو الآراء أو في الطريقة، وهم آملون أن يجدوا في ذلك خيراً للعلم والدين⁽⁶¹⁾. متحملين لأجل ذلك مشقة السفر سعياً وراء الحصول على المعرفة باذلين في سبيل ذلك الأموال لأن ما يتلقاه العالم في البلد الآخر يختلف عما يتلقاه في بلده، ففي السفر تنفتح الأذهان وتزداد المعلومات، وفي ذلك يقول الخطيب البغدادي⁽⁶²⁾ "لو كان حكم المتصل والمرسل واحداً لما ارتحل الحديث وتكلفوا مشاق الأسفار إلى ما بعد من الأقطار للقاء العلماء والسماع منهم في سائر الآفاق".

المبحث الثاني :

1. إسهام الخلفاء :

ان النهضة الفكرية في المجتمع الإسلامي بدأت مبكرة في صدر الإسلام، وأخذت ترتقي تدريجياً، وتطورت تطوراً كبيراً خلال العصور العباسية المختلفة، ثم بدأ العلماء المبرزون في الظهور وتنوع نتاجهم العلمي، نتيجة للتطور العلمي وتبادل المعلومات في شتى المعارف العلمية.⁽⁶³⁾

و كان الخلفاء العباسيون يحتفون بأهل العلم ، بل كانوا هم أنفسهم من محبي العلم ومريديه ، فإذا كان الخليفة عالماً ، ومن عشاق العلم ومحبي العلماء ، زها العلم وسعد في أيامه ، وبالعكس ، وكان تقديم المال للعلماء وتقريبهم ، من أكثر وسائل السلطة تعبيراً عن دعم هذه النخبة والتأثير في توجهاتها ومواقفها⁽⁶⁴⁾ .

ان دعم العلماء وإسهامهم في النشاط العلمي ، هو نهج سار عليه اغلب الخلفاء لأنهم يعدون أنفسهم حماة للعلم، و يرون ان قصورهم يجب ان تكون مركزاً تشع منه الثقافة والعرفان، ويلتقي فيه العلماء والأدباء ، ويرى احد المستشرقين، ان الخلفاء قد وضعوا في المقام الاول تطوير الآداب والفنون والعلوم ، فكانوا حماة متتورين يجيدون على الدوام تقريباً التصرف كرجال يسخون على اهل العلم والفن ، ويستقبلون الشعراء والعلماء بكل ترحاب⁽⁶⁵⁾ وبذلك يعد الخلفاء سببا ((لظهور ثمرات العلوم والآداب ولطائف الصناعات))⁽⁶⁶⁾ .

فأصبحت بغداد حاضرة الخلافة العباسية ذات الموقع المتميز على طرق التجارة والقوافل، برياً وبحرياً، عاصمة متميزة وفتية ، أخذت في النمو والانتساع عمرانياً وسكانياً وتجارياً ، واهم من ذلك تنامي دورها وأهميتها في إطار الحياة العلمية ، فقد اقترن اسم بغداد بالتقدم العلمي والحضاري للدولة الإسلامية منذ بنائها سنة 145هـ/762م ، ومن ذلك التاريخ بدأ التطور العلمي ببغداد حتى فاقت المدن العربية الأخرى التي سبقتها مثل المدينة ، والكوفة ودمشق والبصرة ، وما ذلك إلا نتاج لبراعة أهل بغداد الذين وصفهم اليعقوبي بأنهم ((فضلوا الناس في العلم ، والفهم ، والأدب ، والنظر ، والتمييز ... فليس عالم أعلم من عالمهم ، ولا أروى من روايتهم ، ولا أجدل من متكلمهم ، ولا أعرب من نحوهم ، ولا أصح من قارئهم ، ولا أمهر من متطبيهم))⁽⁶⁷⁾ .

أضف إلى ذلك اعتراف ابن حزم لأندلسي⁽⁶⁸⁾، الذي يشير فيه بوضوح إلى سبق بغداد في مجال العلم والمعرفة والفهم اذ يقول: ((وهذه بغداد حاضرة الدنيا ومعدن كل فضيلة ، والمحلة التي سبق أهلها إلى حملها ألوية المعارف والتدقيق في تصريف العلوم ، ورقة الأخلاق والنباهة والذكاء وحدة الأفكار ونفاذ الخواطر))⁽⁶⁹⁾ .

ويعدّ من أهم الأسباب التي ساعدت على بزوغ نجم بغداد في سماء العلم والحضارة الإسلامية رعاية الخلفاء للعلماء والأدباء والمتفقهين من طلاب العلم ، أضف إلى ذلك أن عدداً غير قليل منهم برعوا في أكثر من مجال من مجالات العلم والأدب .

وكان لاختيار موقع بغداد من قبل المنصور الأهمية السياسية وهذا ما اكده المستشرق ريجارد الضرورة السياسية التي وقفت وراء اختيار المنصور لمدينة بغداد عاصمة الخلافة بعد نحو عشر سنوات من بدء حكمه ولا سيما انه أيقن "أن كيانه الشخصي والأسري غير مرتكبين على أساس قويم"⁽⁷⁰⁾. ومع كل تلك الأسباب كان الواضح من الروايات التاريخية ان الخليفة المنصور لم يبن عاصمته باستعجال، إذ أسسها عام 145هـ/ 762م، وأحضر لها خيرة المهندسين والبنائين والصناع واهتم بصورتها العمرانية حتى أتمها بعد خمس سنوات أي في العام 149هـ/ 766م، إذ نقل إليها الخزائن والدواوين وبيوت المال⁽⁷¹⁾.

إن أول مؤسس لحياة علمية وأدبية في بغداد هو الخليفة المنصور، فهو أول خليفة قرب المنجمين وعمل بأحكام النجوم ، وأنه أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات الأعجمية الى العربية⁽⁷²⁾ ، ولقد كان المنصور من احسن رواة الحديث ، وله ذوق في الشعر ، يقوى بها على نقد الشعراء ، ومعرفة جيد القول من رديئة ، والمنحول والمسروق⁽⁷³⁾ فقد اقتنع المنصور بما قاله له مزارعو بغداد عشية اختيارها بأن المدينة ستكون بين أربعة طاسيج* ، اثنان غربي نهر دجلة وهما قطريل وبادوريا واللذان في شرقي النهر فهما نهر بوق وكلوادي إذ تتوافر أشجار النخيل والماء، فإذا أجذب طسوج كان الآخر عامراً⁽⁷⁴⁾، فتبقى بغداد عامرة بخيراتها المتعددة. وهكذا غدت في عيون اليعقوبي، أحد ابرز من دون ملامحها في مرحلة متأخرة "كأنها سيقت إليها خيرات الأرض، وجمعت فيها ذخائر الدنيا وتكاملت بها بركات العالم"⁽⁷⁵⁾. وعلى هذه الحال التي بدأ بها ابوجعفر المنصور سارت الحياة في بغداد، ولم يتخلف عنها ابنه المهدي (158-169هـ/ 775-785م)، فقد كان هو الآخر ناقداً للشعر أدبياً .

كما اشار اليعقوبي إلى خصوبة أرض بغداد واعتدال مناخها وعذوبة مياهها الوفيرة وطيب ثمارها وكثرتها، وتأثير ذلك ايجابياً في أهلها" لتوضيح أهمية هذا العامل وانفتقت أذهانهم حتى فضلوا الناس في العلم والفهم والأدب والنظر والتميز والتجارات والصناعات والمكاسب والحدق بكل مناظرة، وإحكام كل مهنة، واتقان كل صناعة فليس عالم أعلم من عالمهم، ولا أروى من راويتهم، ولا أجدل من متكلمهم، ولا أعرب من نحوهم، ولا أصح من قارئهم ..."⁽⁷⁶⁾. فالانتعاش والرخاء الاقتصادي اخذ ينعكس إيجابياً على الناحيتين الثقافية والعلمي، وعلى الرغم من البعد الزمني والمكاني بين ما ذكره ابن خلدون في مقدمته، والمتوفى عام 808هـ/ 1405م، ومدة البحث الذي نحن بصدد، إلا أن ما قاله في هذا الشأن معبر تعبيراً دقيقاً عندما يقول "إن العلوم انما تكثر إذ يكثر العمران وتعظم الحضارة واعتبر ما قرناه بحال بغداد لما كثر عمرانها صدر الاسلام واستوت فيها الحضارة كيف زخرت فيها بحار العلوم وتقننوا في اصطلاحات التعليم وأصناف العلوم واستتباط المسائل والفنون حتى أربوا على المتقدمين وفاتوا المتأخرين"⁽⁷⁷⁾. وهكذا يعترف ابن خلدون في مقدمته بأن بغداد كانت احد أهم الأمصار التي يرحل إليها طالب العلم لكونها متبحرة في العلوم⁽⁷⁸⁾.

فلا عجب إذا ما كانت بها "من تجارات البلدان أكثر مما في تلك البلدان التي خرجت التجارات منها"⁽⁷⁹⁾. وهكذا ازدهرت الأموال الاقتصادية وازداد ترف الخلفاء وانتعشت الحياة الاجتماعية وتطورت سبل الحياة ورفاهيتها⁽⁸⁰⁾. لم يقتصر الاهتمام بالعلم ورعايته على مؤسس بغداد بل أولى الاهتمام نفسه أو أكثر منه خلفاء آخرون من بني العباس ورجال حاشيتهم فضلاً عن العديد من رجالات بغداد، وأثمر ذلك التشجيع والرعاية في اغناء الحركة العلمية، سواء من خلال فسح المجال لتقاطر العلماء ومحبي العلم إلى بغداد من أرجاء العالم المختلفة، ومن علماء بغداد نفسها، وما جرى بين علماء المراكز العلمية والفكرية من تفاعل علمي ببناء انصب هدفهم على الفكر دون المادة وخدمة العروبة والاسلام وليس التوقع في اطار الإقليمية الضيقة⁽⁸¹⁾.

وما يؤكد ذلك الاستنتاج ما دونه أحد المعاصرين في القرن الثالث الهجري ومطلع القرن الرابع الذي أشار إلى ان بغداد أصبحت مطمح العلماء، إذ قال المحدث أحمد بن يعقوب بن سعيد أبو بكر القرشي الجرجاني عام 303هـ/ 915م : "وجدت بغداد يومئذ تغلي بالعلماء والأدباء والشعراء وأصحاب الحديث وأهل الأخبار والمجالس عامرة وأهلها متوافدون فأردت أن أطوف المجالس وأخبر أخبارها"⁽⁸²⁾. وايضا فان المقدسي وجدها مدينة كثيرة الفقهاء والقراء والأدباء والأئمة والملوك⁽⁸³⁾. ونقل عن الخطيب البغدادي قوله "لم يكن لبغداد نظير في الدنيا في جلالة قدرها وفخامة أمرها وكثرة علمائها وأعلامها وتميز خواصها وعوامها"⁽⁸⁴⁾.

كما أشار السمعاني الى ان قاصدي المراكز الفكرية في بغداد ينتسبون لكل "جنس وفن"⁽⁸⁵⁾، لأنه دون أدنى شك إن التناظر والنقاش بين علماء هذه الفرق والمذاهب أدى إلى ظهور نهضة علمية متميزة في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجريين⁽⁸⁶⁾، وتوصل المستشرق بارتولد إلى ان بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين "كانت احد أهم مراكز العلم والحضارة"⁽⁸⁷⁾.

بالإضافة الى ان الخلفاء العباسيون أنفسهم اهتموا بتنشيط ورعاية الحركة العلمية والفكرية ببغداد فجذبوا واستقدموا العلماء والأدباء اليها، فازدهرت بغداد بالعلماء الوافدين من أنحاء العالم الاسلامي، فقد اثر تشجيع واهتمام الخلفاء للعلم وأهله في انتقال الكثير من علماء المشرق الاسلامي الى بغداد⁽⁸⁸⁾.

كما اهتم الخلفاء العباسيين بالعلوم والآداب وخاصة في علوم القرآن والحديث ،بما يتماشى مع مواقفهم السياسية التي انتهجوها، فمثلاً كان الخليفة المنصور مهتما بالأمور الفقهية والأدبية⁽⁸⁹⁾، حتى أنه أوصى ابنه محمد المهدي أن لايجلس مجلساً الا ومعه واحد من أهل العلم يحدثه⁽⁹⁰⁾.

وسار الخليفة المهدي على هدى والده في حب العلم وتوقير أهله⁽⁹¹⁾ وسار أكثر الخلفاء على اثرهم وبعد مرور عقدين من زمن اهتمام بغداد بعلمائها ومفكرها بدأت تعطي ثمارها، فعندما انتقلت الخلافة إلى هارون الرشيد (170-193هـ/ 786-808م)، اخذت بغداد تزدهر بالعلماء، وسار الرشيد نفسه على نهج سابقه في الرعاية والاهتمام بالعلم والعلماء بل أجزل العطايا سواء للفقهاء أو الشعراء⁽⁹²⁾ فضلاً عن أهل الأدب⁽⁹³⁾، وحفلت مجالسه بالعلماء والأدباء⁽⁹⁴⁾، كما لا بد للإشارة الى ان اهم عمل قام به من الإشارة إلى ان الخليفة هارون أنه قام بتأسيس مركزاً علمياً أسماه بيت الحكمة، وفرّ له الكتب والمترجمين وعمل به عدد من العلماء بمختلف مشاربهم، فازدهرت الحركات العقلية والفلسفية فتقاطر العلماء والحكماء والشعراء إلى بغداد أكثر من أي وقت مضى⁽⁹⁵⁾.

فكانت سياسة الخلفاء العباسيين وشعورهم بأهمية البلدان المجاورة من الناحية السياسية والاقتصادية كان وراء ذلك الاهتمام، وبالتالي نتج عن ذلك نوع من التواصل الفكري بين البلدان وبغداد عن طريق الرحلات نتج عن ذلك الازدهار العلمي والأدبي والفكري ولا سيما خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين التاسع والعاشر الميلاديين⁽⁹⁶⁾.

فبغداد تعتبر إحدى أهم مراكز الجذب الثقافي في العصر العباسي فهي قبلة العلم والمعرفة ومنار للعلماء والأدباء يقصدونها من كل حذب وصوب، وكان لتشجيع الخلفاء العباسيين للعلم والعلماء اثر بان أصبحت بغداد صرحاً ثقافياً مشهوراً وتحولت إلى محل جذب العلماء من المناطق كافة، فهي حاضرة الخلافة العباسية، وقال عنها أبو بكر بن عياش "الإسلام ببغداد وأنها لصيادة تصيد الرجال، ومن لم يرها لم ير الدنيا"⁽⁹⁷⁾.

ونظراً لما تتمتع به بغداد من سمعة طيبة ومكانة مرموقة فقد كان من يدخلها يعدها وطناً له، فنقل الخطيب البغدادي قولاً للشافعي يذكر فيه "ما دخلت بلداً قط إلا عدته سفراً، إلا بغداد فإنني إذ دخلتها عدتها وطناً"⁽⁹⁸⁾. ولمكانة بغداد المتميزة انتقل إليها العديد من العلماء من جميع البلدان بل أن الكثير قد فضلوا على أوطانهم فليس من أهل البلد إلا ولهم فيها محلة ومتجر ومصرف، وفيها من المميزات العديدة ما ليس في مدينة في الدنيا⁽⁹⁹⁾.

فشهدت بغداد خلال القرنين الثالث والرابع الهجري نهضة علمية فأتخذ العلماء من الرحلة إلى بغداد بمثابة توثيق وتنشيط لما تعلموه وتلقوه في حياتهم فيذكر الحسن بن عرفة "من لم يوثقه أهل بغداد، فقط سقط، هم جهابذة العلم"⁽¹⁰⁰⁾، كما جاء على لسان أحد الشيوخ قوله إن "أهل بغداد موصوفون بحسن المعرفة والتنشيط في أخذ الحديث وآدابه وشدة الورع في روايته"⁽¹⁰¹⁾.

ولعل كثرة المشاهد لمشاهير العلماء والفقهاء وأصحاب المذاهب دليل واضح على ما يتوافر في بغداد من عوامل جذب دفعتهم للرحلة إليها والتزود من معارفها، ففي بغداد قبر الإمام أبي حنيفة، والقاضي أبي يوسف، والإمام أحمد بن حنبل، ومعروف الكرخي، وبشر الحافي وغيرهم كثير⁽¹⁰²⁾.

لا يختلف اثنان في أن الثقافة العربية الإسلامية ازدهرت على نحو لافت للنظر في ظل الخلافة العباسية، حتى غدت بغداد حاضرة الخلافة الإسلامية المكان الملائم والخصب للحركة العلمية وتطورها، وتنامت فيها شتى صنوف العلوم والمعرفة، فلا عجب إذا ما أمّا عدد كبير من علماء الأمصار الإسلامية.

2. المقومات التي ساعدت على انعاش الحركة الفكرية وجذب الرحالة لبغداد (المساجد والمدارس والمكتبات)

ومن المقومات التي كانت جذب للرحالة للعلماء لبغداد وتطور الحركة الفكرية فيها وجود الجوامع والمدارس فلقد كان للجوامع الاثر الكبير منذ بداية الدعوة الإسلامية وسيلة لنشر الثقافة الإسلامية والعلم انطلاقاً من قوله تعالى "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ & خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ & اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ & الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ & عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ"⁽¹⁰³⁾

اذ قامت المساجد والجوامع بوظيفتها كمؤسسة تعليمية منذ نشوئها إلى جانب وظيفتها الأساسية كأماكن للعبادة، فكان الرسول الكريم (صلى الله عليه واله) ومن بعده من الخلفاء (رض) يعلمون الناس في جامع المدينة أمور دينهم ودنياهم⁽¹⁰⁴⁾، لذلك يعد المسجد في الإسلام من معاهد الثقافة الأولى لدراسة العلوم الإسلامية والعربية والكثير من

العلوم العقلية التي تنوعت وتطورت في العصر العباسي.⁽¹⁰⁵⁾ فقد اشار ابن قتيبة الدينوري المتوفى عام 276هـ/ 889م، دور المساجد في زمانه وعدّها " مجالس الكرام"⁽¹⁰⁶⁾.

وقد شجع الدين الإسلامي على التعلم وأعطى للعلم مكانة متميزة وهذه الحقيقة أشار إليها المستشرق المعروف غوستاف لوبون عندما ذكر ما نصه: " أن العلم الذي استهانت به الأديان الأخرى يحله المسلمون حقاً والمسلمون يرون أن الناس موتى وأهل العلم إحياء"⁽¹⁰⁷⁾.

وخلال العصر العباسي وخصوصاً الفترة الأخيرة تعددت الكثير من العلوم في المساجد لعدة اسباب منها اجتماعية وسياسية او اقتصادية او دينية فامتزجت هذه العوامل مع بعضها وانعكست بدورها على الحياة في بغداد وخصوصاً في الجانب العلمي وفيما بعد أصبح المسجد مركز الاشعاع لنشر العلم اضافة لوظيفتها الدينية ، وبالتالي أصبح بناء المساجد سنة سار عليها المسلمون في كافة انحاء العالم منذ ظهور الاسلام وحتى الان انطلاقاً من قوله تعالى: ((إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ))⁽¹⁰⁸⁾. وقول نبينا الكريم: ((من بنى مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة))⁽¹⁰⁹⁾. ومما لا شك فيه فقد زاد عدد المساجد الى ان وصلت الى احد عشر مسجداً⁽¹¹⁰⁾. وهذا ما اشار اليه ابن جبير اثناء زيارته لبغداد سنة (580هـ/ 1184م) ولم يزد على هذا العدد إلى مدة متأخرة⁽¹¹¹⁾.

ومهما يكن من امر فإن كثرة المساجد في بغداد تعتبر مؤشر يظهر لنا اهمية المساجد في حياة المسلمين كونه مكان لنشر العلم والثقافة في مختلف النواحي من الامصار العربية. كما كان المسجد اللبنة الاولى لبناء العلم والتعليم ومساند لمدارس التعلم وفسح المجال لجذب انظار العلماء والفقهاء من مختلف الدول العربية لبغداد.

بالإضافة للمدارس التي تعتبر من المراكز العلمية المهمة أيضاً التي اسهمت على نحو فعال في إغناء الحركة الفكرية في العالم الإسلامي المدارس اذ شهد العراق ظهور المدارس منذ اكثر من اربعة الاف عام ، اذ ثبت ان اقدم مدرسة منظمة في العالم شيدت في العراق في عهد حمورابي (1792- 1750 ق . م) ،وقد تعلم في صفوفها الاحداث جميع العلوم التي كانت معروفة في تلك الازمنة ، حتى أصبحت منهلاً عذباً نهل منها اجدادنا كوثر العلوم ، والفنون ، ونبراساً بدد غياهب الجهل من البلاد.⁽¹¹²⁾

فاذا نظرنا الى العرب قبل الإسلام ،وجدنا معلوماتهم مبعثرة ، نظرات في الطبيعة ، واخرى في الإنسان ، لارتبطها رابطة ، وتجارب يرويها الخلف عن السلف من غير امتحان ، وطب موروث وكهانه مألوفة ، وقول في النجوم والانواء والرياح سمعه جيل عن جيل ، ورواية للشعر لا تعتمد على درس او امتحان وهكذا، وأحاديثهم من هذا القبيل فيها كل شيء وليس فيها شيء دقيق منظم⁽¹¹³⁾.

وبعد ظهور الاسلام الذي اثر في كل النواحي ومنها العلمية ، نجد ان الثقافة وعلى مدى القرن الاول الهجري / السابع الميلادي ، كتلة واحدة ممتزجة ، فجميع المسائل العلمية تقريباً تدور حول القرآن والحديث ، منها يستنبط الفقه

، ولاجلها يروى الشعر ، وبسببها تبحث مسائل النحو ، وعلى الجملة ان الحركة العلمية خلال هذا القرن يغلب عليها الطابع الديني⁽¹¹⁴⁾

وما ان بدأ القرن (2هـ / 8م)، نرى الاتجاه يتجه الى تميز العلوم بعضها عن بعض ، وتم ذلك في اوائل العصر العباسي ، اذ قال الذهبي في احداث سنه 143(هـ / 760م) : ((شرح علماء الاسلام في تدوين الحديث والفقه والتفسير ... وكثر تدوين العلم وتبويبه ، ودونت الكتب العربية واللغة والتاريخ وايام الناس ، وقبل هذا العصر كان سائر ألائمه يتكلمون عن حفظهم ، ويروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة ، فسهل والله الحمد تناول العلم ، واخذ الحفظ يتناقص)).⁽¹¹⁵⁾

وباتساع النشاط العلمي وتطوره ، اتسع معه التفكير الإسلامي في العصر العباسي اتساعاً كبيراً ، وتطور معه العقلية العلمية لعلماء المسلمين في البحث والتأليف على درجة عظيمة من النضج ، إضافة الى التلاحق الفكرية والاحتكاك بالثقافات الأخرى ، خصوصاً بعد نشاط حركة الترجمة في العصر العباسي الأول.⁽¹¹⁶⁾

إضافة لدور المكتبات : فدور المكتبات كان كبيرا فكان من الطبيعي ان يهتم العرب المسلمين بها بسبب اهتمامهم بالتعليم وتزويدها بأهميات الكتب المتوفرة حينذاك ، خاصة بعد ان نعلم ان الكتب قبل اختراع الطباعة كانت غالية الثمن ، لا يقتنيها الا الأغنياء ، ولأنها كانت مخطوطات باهضة التكاليف ، لذلك لجأ القادرون من محبي العلم الى أنشاء المكتبات ، يجمعون فيها الكتب و يفتحون ابوابها للراغبين.⁽¹¹⁷⁾

فبغداد في العصر العباسي ، لم تنافسها مدينة إسلامية أخرى في كثرة كتبها ومكتباتها ، لانها من المدن التي أنشئت فيها خزائن الكتب ودور العلم ، كما ان إنشائها كان في أبان ازدهار الحضارة العربية في البلاد الإسلامية⁽¹¹⁸⁾، والجدير بالذكر ، ان هذه المكتبات لم تكن لاغراض علمية بحتة ، بل كانت لأغراض تعليمية ايضاً ، فهي علمية لانها مكانٌ يجمع فيه الكتب للاستفادة منها ، وتعليمية لانها في اغلب الاحيان كانت مجمعاً يجتمع فيه طلاب العلم والعلماء ، ويتداولون فيما بينهم المسائل العلمية.⁽¹¹⁹⁾ فكان هناك المكتبات العامة والخاصة فكانت العامة مرتبطة بالمساجد والمدارس بالإضافة الى ان هناك مكتبات عامة مستقلة ، وهذا النوع من المكتبات يأتي اليها عامة طلاب العلم والباحثون عن المعرفة ، فلم يمنع احد من ارتيادها⁽¹²⁰⁾.

وظلت مراكز بغداد العلمية في ذاكرة القادمين من العلماء، باعتراف الامام البخاري بأنه على الرغم من زيارته لبغداد ثماني مرات مجالساً للعلماء والفقهاء، سرعان ما دب فيه الحنين إليها طلباً للمزيد من العلم والمعرفة، وظل يتذكر مقولة الامام أحمد بن حنبل له في لقاء توديعي " يا ابا عبدالله أتترك العلم والناس، وتصير [وتسير] إلى خراسان فأنا الآن أذكر قول أحمد"⁽¹²¹⁾. ومن العلماء الذين حضروا لبغداد

العالم صاعد بن سيار بن عبد الله بن إبراهيم القاضي أبو العلا المتوفى سنة (520هـ/1126م) قدم بغداد سنة تسع وخمسمائة وكان قد أُملى بجامع القصر. (122).

والعالم أبو عبد الله الصاعدي الفراوي المتوفى سنة (530هـ/1135م) فقد اشتهر بكثرة مجالس إملائه اذ ورد بغداد، وكان فقيها مفتيا مناظرا محدثا واعظا ظريفا حسن المعاشرة طلق الوجه جوادا يخدم الغرباء بنفسه مع كبر سنه، وقال عنه عبد الرشيد بن علي الطبري ((الفراوي ألف راوي)) (123).

اما الإمام الحافظ أبو الخير، عبد الرحيم بن محمد بن احمد بن حمدان بن موسى الاصبهاني المتوفى سنة (568هـ/1190م) من حفاظ الحديث، وقال ابن النجار: (انه كان يحفظ الصحيحين). وقدم بغداد في شبابه وكبره وأُملى بجامع القصر باستملاء الشيخ ابن الأخضر وسألته عنه فأثنى عليه ووصفه بالحفظ والمعرفة (124).

والعالم محمد بن عبد الحميد بن الحسن بن الحسين ابن حمزة أبو الفتح الاسمدي المتوفى سنة (552هـ/1157م) (125). من مشاهير الفقهاء. قال ابن النجار: ((كان يعرف بالعلاء من فحول الفقهاء من أصحاب أبي حنيفة النعمان، وله (تعليقة) مشهورة في مجلدات، قدم بغداد حاجاً سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة، وصنف في الخلاف، وأُملى في جوامع بغداد. روى عنه أبو المظفر السمعاني (126).

وحضر الى بغداد ايضاً العالم محمد بن الحسن بن الحسين بن محمد بن اسحاق بن منصور بن عبد الملك بن نوح بن منصور أبو الحسن المنصوري المتوفى سنة (582هـ/1186م) حاجاً سنة ست وسبعين وخمسمائة، وعقد مجلساً وأُملى بها الحديث، وروى عنه من أهلها أبو الحسن القطيعي وآخرين (127).

وايضا حضر لبغداد الإمام أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان بن موسى بن عثمان بن حازم الهمداني المتوفى سنة (584هـ/1188م) (128). قال ابن الديبشي: ((سكن بغداد وتفقّه بها وجالس العلماء وتميز وصار من أحفظ الناس للحديث وأسانيده ورجاله)) وذكر انه صنف في الحديث عدة تصانيف وأُملى عدة مجالس في بغداد، (129).

وايضا من العلماء الذين كان حضورهم مرحب في بغداد الفقيه محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم الملقب صدر الدين قاضي نيسابور المتوفى سنة (590هـ/1193م) (130). وقدم بغداد في طريقه لاداء فريضة الحج، وقد حضى باستقبال العلماء وطلبة العلم، وكان من ضمن المستقبلين له أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي المتوفى سنة (597هـ/1200م) وعقد مجلساً للإملاء في جامع المنصور روى فيه الحديث (131).

و المحدث محمد بن عبد الملك بن إسماعيل بن علي المتوفى سنة (595هـ/1198م) (132). من أهل اصبهان احتفى به اهل بغداد وذاعت شهرته وعمله وعقد عدة مجالس في جامع المنصور ويذكر ابن الديبشي: ((أُملى بها في المسجد الجامع كتبها عنه قوم من طلبة العلم وآخرين)) (133).

نستنتج مما تقدم كان للجهود المبذولة من قبل العلماء القادمين الى بغداد اثر كبير في نشر العديد من العلوم فيها ونقل مختلف الثقافات بالإضافة الى انهم نقلوا من بغداد العديد من المعارف لبلدانهم بدافع المعرفة. فكانت لهم العديد من النتائج العلمية والفكرية اسهمت في تطور الحركة العلمية وازدهارها.

الخاتمة

يتبين لنا ان بدايات الرحلة كانت منذ ولادته الانسان على الارض فهو مجبول بالترحال والتنقل بحثا عن الماء والعشب والصيد ثم اخذت تتطور بتطور البشرية فأصبحت بحثا عن الرزق والتجارة والتعرف على اخبار الامم وهناك العديد من الاشارات للآيات القرآنية والاحاديث التي تتحدث عن الرحلة وتشجع عليها وبعدها اخذت تتطور , كما كان للرحلات اثر كبير في تطور الحركة الفكرية في بغداد ولاسيما وان الدور الكبير كان للخلفاء العباسيين في انعاش تلك الرحلات عن طريق الاهتمام بكافة انواع العلم والمعرفة وتشجيعهم للعلماء والادباء والكتاب وتوفير لهم كافة السبل للعلم والعرفه فكانت المساجد لها الدور الكبير بالإضافة الى دور المدارس والمكتبات في انعاش تلك الحركة وخاصة ان بغداد كانت في تلك الفترة مركزا للإشعاع العلمي والفكري فأصبحت محطة لجذب العلماء من كافة البلدان للتزود بمختلف انواع المعرفة والعلوم وبالتالي كان هؤلاء العلماء ينقلون من بلدانهم ايضا العلوم والمعرفة اليها مهما اختلفت انواع الرحلات من دينية او جغرافية او سياسية او علمية ساهمت بشكل او باخر في انعاش الحركة الفكرية في بغداد وايضا في البلدان الاخرى .

المصادر والهوامش

- (1) ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري ، لسان العرب ، ط3 (القاهرة : دت) مادة رحل ؛ ج11 ص 276-277.
- (2) الزمخشري، جلاله ابو القاسم محمود بن عمر (ت538هـ/143م)، اساس البلاغة (بيروت : 1965) دار صادر ، 225 ؛ الصباغ : لمياء عز الدين مصطفى ، الرحلات العلمية بين المغرب العربي والمشرق حتى القرن السابع الهجري ، اطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة الموصل : 1996) .
- (3) الشامي : صلاح الدين علي ، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة (الاسكندرية : 1982) 9 ، 10 ؛ فهم : حسين محمد ، ادب الرحلات . دراسة تحليلية (الكويت : 1989) مطابع الرسالة ، عالم المعرفة ، ع 138 / 19 - 22 .
- (4) لسان العرب ، 6 / 32 .
- (5) ابو حامد الغزالي، محمد بن محمد بن محمود الطوسي (ت505هـ/1111م): احياء علوم الدين (بيروت : دت) دار المعرفة للطباعة والنشر ، 2 / 244 .
- (6) زردومي ، اسماعيل: فن الرحلة في الادب المغربي القديم ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، من كلية الاداب والعلوم الانسانية، جامعة الحاج الاخضر ، الجزائر ، 2005، ص12.
- (7) السنوسي : محمد بن عثمان بن محمد ، الرحلة الحجازية ، تحقيق : علي الشنوفي (تونس : 1976) ص46
- (8) سورة الملك ، الاية 15 .
- (9) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، قام باخراجه ابراهيم مصطفى وآخرون (طهران : دت) المكتبة العلمية ، مادة رحل ، 1 / 335
- (10) المكناسي : محمد بن عثمان ، الاكسير في فكاك الاسير ، تحقيق : محمد الفاسي ، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي (الرباط : 1965) مقدمة المحقق عن الرحلات وانواعها ؛ الصباغ ، الرحلات ، 14 .
- (11) سورة هود ، الاية 41-42.
- (12) سورة قريش ، الاية 1-4.
- (13) حسيني : الطاهر ، الرحلة الجزائرية في العهد العثماني بنائها الفني انواعها وخصائصها ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة قاصدي مرباح ، كلية الاداب واللغات ، قسم اللغة العربية ، الجزائر ، 2014م، ص19.
- (14) سيد نوفل : الرحلات ف الادب العربي القديم ، مجلة الهلال المصرية ، العدد 7، سنة 1975، ص7.
- (15) سورة العنكبوت ، الاية 20 .
- (16) ابن اسحاق ، محمد بن اسحاق المطلبي ، (ت151هـ): السير والمغازي ، تحقيق : محمد حميد الله ، معهد الدراسات والابحاث ، (د.م .د.ت)، ج2 ص154.
- (17) البخاري، ابو عبدالله محمد بن اسماعيل (ت256هـ/870م): صحيح البخاري، مطبعة المصطفى ، (د.م، 1307م)، ص5027.
- (18) محمد رجب النجار: ادب الرحلات في التراث العربي ، ص9-11، مجلة الجسرة الثقافية ، العدد الثالث ، 1999م.
- (19) وهم ابن خرداذبة ، اليعقوبي ، ابن الفقيه، ابن رسته ، ينظر : كراتشكوفسكي، اغناطيوس ، بوليا نوفاتش : تاريخ الادب العربي الجغرافي ، ترجمة ، صلاح الدين عثمان هاشم ، مراجعة ، ايغور بلياف ، الادارة الثقافية ، جامعة الدول العربية ، (القاهرة، د.ت)، ص171-180.
- (20) ابن خرداذبة ، ابو القاسم عبيدالله بن عبدالله (ت300هـ/912م): المسالك والممالك، ص، مكتبة المثنى ، بغداد، 1962، اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت بحدود 284هـ/897م): لبلدان ، مطبعة ليدن (د.م، 1310هـ/1892)

(21) العدوي .ابراهيم احمد : ابن بطوطة والعالم الاسلامي , دار المعارف ,مصر ,1954,ص8.

(22) ابو اسعد : احمد ، ادب الرحلات وتطوره في الادب العربي ، ط1 (بيروت : 1961) 17 . 20 .

(23) الصباغ ، الرحلات ، 15 .

(24) سورة ال عمران ، من الآية 97 .

(25) ضيف : شوقي ، الرحلات ، ط2 (القاهرة : 1969) 9 ؛ السائح : حسن ، الحضارة المغربية عبر التاريخ ، ط1(الدار البيضاء :

1975) مطبعة النجاح الجديدة ، 1 / 101 ، 102 وما بعدها ؛ عبدالله : عبد العزيز ، الرحلات الحجازية وصلة بين شقي العروبة ، مجلة

اللسان العربي (الرباط : 1977) مج 15 / 211 وما بعدها ؛ الصباغ ، الرحلات ، 15.

(26) علي : جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ط2 (بيروت : 1978) دار العلم للملايين ، 7 / 232 - 262 ؛ الصباغ ،

الرحلات ، 17 .

(27) ابن حبيب : ابو جعفر محمد ، المحبر ، تصحيح : ايلزة ليختن شتينر (بيروت : 1361) المكتب التجاري للطباعة والنشر

والتوزيع ، 162 ؛ الطبري،: تاريخ الرسل والملوك 2 / 250 - 252 ؛ مال الله : علي محسن عيسى ، ادب الرحلات عند العرب في

الشرق نشأته وتطوره حتى نهاية القرن 8 هـ (بغداد : 1978) مطبعة الارشاد ، 11 ؛ الصباغ ، الرحلات ، 17 .

(28) الهمذاني : ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق : محمد علي الاكوع (اليمامة ، 1974) ، 3 ، 75 ،

زيادة : نقولا ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، ط3 (بيروت : 1982) ، 137 وما بعدها ؛ الصباغ ، الرحلات ، 17 .

(29) الصباغ ، الرحلات ، 17 .

(30) صادق ، الرحلات ، 27 .

(31) الموافي : عثمان ، منهج النقد التاريخي عند المسلمين ، ط2 (الاسكندرية : 1976) 33 ، 34 ؛ مطلوب ، الرحلة في طلب العلم

، 2 / .

(32) الصباغ ، الرحلات ، 21 .

(33) مطلوب،ناطق صالح، الرحلة في طلب العلم والحياة الثقافية في الموصل، موسوعة الموصل الحضارية، دار الكتب للطباعة

(الموصل:1992م)، 2 / 253 .

(34)الصباغ ، الرحلات ، 21 .

35- سورة التوبة ، الآية:122.

(36) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت 279هـ) الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، تحقيق يوسف الحوت، بيروت،

دار الكتب العلمية، د.ت، ج4، ص495.

(37) المقدمة ،ص437.

(38) المباركفوري، عبدالسلام، سيرة الأمام البخاري، ط2، بومباي، الدار السلفية، 1407هـ/ 1987م، ص51؛ ينظر أبو

شبهة، محمد بن محمد، أعلام المحدثين، مصر مطابع دار الكتاب العربي، د، ت، ص20؛ الشكعة، مصطفى،مناهج التأليف

عند العلماء العرب، ط2، بيروت العلم للملايين، 1974م، ص47.

(39) السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ط2، راجع اصوله عبدالوهاب عبداللطيف، بيروت، لبنان دار احياء

السنة النبوية، 1399هـ/ 1979م، ج2، ص142.

(40) الحاكم النيسابوري، معرفة علوم الحديث، ط3، بيروت منشورات دار الآفاق الجديدة، 1979م، ص8؛ ابن عبد البر،

ابو عمر يوسف بن عبدالله القرطبي (ت 463هـ)، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، مصر، دار الطباعة

المنيرية، د. ت، ج1، ص94.

(41) الحاكم النيسابوري، معرفة علوم الحديث، ص8.

- (42) ابن خلاد : الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي ، المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ، تحقيق : محمد عجاج الخطيب ، ط1 (بيروت : 1971) دار الفكر ، 223 .
- (43) الخطيب البغدادي : ابو بكر احمد بن علي ، الجامع لاخلق الراوي وادآب السامع ، تحقيق : محمد رافت سعيد ، ط1 (السعودية : 1981) 283 ؛ صادق ، الرحلات ، 29 .
- (44) مطلوب، ناطق صالح، الرحلة في طلب العلم والحياة الثقافية في الموصل، موسوعة الموصل الحضارية، دار الكتب للطباعة (الموصل:1992م)، 353 .
- (45) علوم الحديث ، تحقيق : نور الدين عتر (المدينة المنورة : 1966) 222 ؛ صادق، جعفر حسن ، ، الرحلات العلمية من الاندلس الى المشرق ، عصر الامارة (138-316هـ/755-928م، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة الموصل، 1985، ص، 28 .
- * ينظر الى الناس ويتطلع اليهم لسمع منهم .الرازي : محمد بن ابي بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح ، (بيروت : 1981) دار الكتاب العربي ، 353.
- (46) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن ولي الدين التونسي (ت808هـ/1405م)، المقدمة، ط2، دار الكتاب اللبناني للطباعة ، (بيروت ،1960)، ص 450 ؛ صادق ، الرحلات ، 28 .
- (47) ابن خلاد ، المحدث الفاصل ، 217 ؛ الصباغ ، الرحلات ، 23 ، 24 .
- (48) السامرائي : خليل ابراهيم ، دراسات في تاريخ الفكر العربي ، (الموصل : 1983) مطبعة جامعة الموصل ، 141 ، 145 .
- (49) معجم البلدان ، ج1، ص416.
- (50) طه ، عبد الواحد ذنون، الصلات المتبادلة بين المغرب الإسلامي والمشرق ، ط1، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، 1425هـ/2004م، ص31.
- (51) صادق ، الرحلات ، 30 .
- (52) ابن حزم ،علي بن سعيد بن حزم الظاهري ت456هـ/1063م، فضائل الأندلس وأهلها ، تح: صلاح الدين المنجد ، ط1، دار الكتب الجديد ، بيروت ، 1387هـ/1987م، ص10.
- (53) يوسف ، أحلام صالح وهب ، الرحلات العلمية بين المغرب العربي والمشرق في القرنين السابع والثامن الهجريين ، أطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الآداب ، جامعة الموصل ، 1421هـ/2000م ، ص196.
- (54) سورة التوبة: الآية 122.
- (55) الترمذي، سنن الترمذي، ج5، ص29.
- (56) الجويني، أبو المعالي عبد الملك بن عبدالله بن يوسف الطائي، (ت 478هـ)، الدرّة المضيئة فيما وقع فيه الخلاف بين الشافعية والحنفية، ط1، تحقيق عبد العظيم الديب، قطر، دار احياء التراث الإسلامي، 1986م، ص35 المقدمة.
- (57) أمين، احمد، فجر الإسلام، ط1، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، 1975م، ص223.
- (58) العراقي، ابو الفضل زين الدين عبدالرحيم بن الحسين، (ت 806هـ) التقييد والايضاح لما اطلق وأغلق من مقدمة ابن صلاح، ط2، وضع حواشيه محمد عبدالله شاهين، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1999م، ص195.
- (59) ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ص95.
- (60) ابن خلدون ، المقدمة، ط2، ص476.
- (61) الجويني، الدرّة المضيئة، ص36 المقدمة.
- (62) الخطيب البغدادي، أبو بكر احمد بن علي بن ثابت: الكفاية في علم الرواية، الهند، حيدر آباد الدكن، 1357هـ، ص402.

- (64) كمال الدين ،جليل ،بغداد مركز العلم والثقافة العالمية في القرون الوسطى ،مجلة المورد ،م8 ،ع4 ،1400هـ/1979م ،ص245.
- (64) (سلهب ، حسن :تاريخ العراق في العهد البويهي دراسة في الحياة الفكرية ، دار المحجة البيضاء ،المغرب،2008 م ،ص111.
- (65) ريسلر ، جاك ، الحضارة العربية ، ترجمة : احمد خليل ، منشورات عويدات ، بيروت ، (لا . ت) ،ص91.
- (66) (الثعالبي ، ابو منصور عبد الملك بن محمد ت 429هـ / 1037 م ،اداب الملوك ، تح : جليل العطية ، ط1 ، دار المغرب العربي ، بيروت ، 1411هـ / 1990م ، ص39 .
- (67) البلدان ، ص14 .
- (68) (ابن حزم الأندلسي : هو علي بن أحمد بن سعيد ، كان حافظاً و عالماً بعلوم الحديث ومتقناً في علوم جمة ، له الكثير من المصنفات ، توفي سنة 456هـ/1063م .الضيبي ، ابوجعفر أحمد بن يحيى بن عميرة ، ت599هـ / 1203م ، بغية الملتبس في تاريخ رجال الاندلس ، تح:صلاح الدين الهواري ، ط1 ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1426هـ / 2005م ، ص386 .
- (69) (ابن حزم ،علي بن سعيد بن حزم الظاهري ت456هـ/1063م، رسائل ابن حزم ، تح : احسان عباس ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1402هـ/1981م ، ج2 ، ص176 .
- (70) كوك، ريجارد، بغداد مدينة السلام، ترجمة فؤاد جميل ومصطفى جواد، بغداد، 1962م، ج2، ص21.
- (71) (السمعاني، الانساب، م1، ص265؛ ابن الجوزي ، جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي البغدادي(ت،597هـ/1200م): المنتظم في تاريخ الرسل والملوك والامم الدار الوطنية (بغداد ، 1990) ج5، ص129-146؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير ، ج2، ص213؛ الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن (ت966هـ)، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، بيروت، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، د. ت، ج2، ص325؛ ينظر الدوري، العصر العباسي الأول، ص98.
- (72) (السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن بن ابي بكر الخضري (ت 911هـ/1505م) ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محي الدين، مطبعة السعادة(القاهرة 1952)، ص359؛ العمري، عبد الله منسي السعد ، تاريخ العلم عند العرب ، ط1، دار المجلاوي ، الأردن، 1390هـ / 1990م، ص51؛ هونكة ، زغريد ، شمس العرب تستطع على الغرب ، ترجمة : فاروق بيضون وكمال دسوقي ، دار صادر ، بيروت ، (لا.ت) ، ص379
- (73) (الجاحظ ، ابو عثمان عمر بن بحر ت 255هـ / 868م، البيان والتبيين ،تح: زكريا عميرات ، ط1، دار الفكر العربي ، بيروت، 1421هـ / 2000م، ج3، ص318؛ السمعاني، ابوسعاد عبد الكريم بن محمد بن منصور ت 562هـ / 1166م ، أدب الإملاء والأستملاء ، تح: سعيد محمد اللحام ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، (لا،ت)، ص25.
- (*) (الطساسيج: هي المناطق الزراعية. الدوري، عبد العزيز: العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والاداري والمالي ،دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، 2012م، ص95.
- (74) (المقدسي، شمس الدين ابي عبد الله بن ابي بكر البنا (ت367هـ/1977م)، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ،ط2، مطبعة ليدن(د.م،1906م)، ص119.
- (75) البلدان ، ص4.
- (76) البلدان ، ص4-5.
- (77) المقدمة، ص362-363.
- (78) ابن خلدون: المقدمة، ص362.
- (79) اليعقوبي، البلدان ، ص4.
- (80) الدوري، العصر العباسي الأول، ص20.

- (81) المباركفوري، عبد السلام : سيرة الامام البخاري سيد الفقهاء وامام المحدثين، ط1، دار علم الفوائد، تحقيق ، عبد العليم بن عبد العظيم البستوي، السعودية، 2002، ص92.
- (82) ابن عساكر: تقي الدين ابو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله (ت573هـ / 1176م)، تاريخ مدينة دمشق، ج15، تحقيق صلاح الدين المنجد(دمشق: 1951م) ج2، ص121.
- (83) احسن التقاسيم، ص126.
- (84) ابن كثير، البداية والنهاية، ج10، ص101.
- (85) الانساب، م1، ص265.
- (86) البلخي، ابو القاسم عبدالله بن احمد (ت319هـ)، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق فؤاد سيد، تونس، الدار التونسية للنشر، 1974م، ص152؛ الرازي، أبو محمد عبدالرحمن بن ابي حاتم (ت327هـ)، كتاب الزينة في الكلمات الاسلامية العربية، ط2، تحقيق عبدالله سلوم السامرائي، بغداد، دار واسط للنشر، 1982، ص152.
- (87) بارتولد، تاريخ الحضارة الاسلامية، ط5، ترجمة حمزة طاهر، القاهرة، دار المعارف، 1983م، ص79-80.
- (88) زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، ج3، ص157-158.
- (89) الذهبي، شمس الدين ابي عبدالله محمد بن احمد بن عثمان (ت748هـ/1346م : سير اعلام النبلاء، ط1، تحقيق، شعيب الارنؤوطي، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ج7، ص67؛ الدميري، كمال الدين محمد بن موسى (ت808هـ)، حياة الحيوان الكبرى، بيروت، المكتبة الاسلامية؛ د.ت، ج1، ص75.
- (90) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص72؛ ابن الجوزي، المنتظم ، ج5، ص56.
- (91) القرمانى، احمد بن يوسف(ت1019هـ/1610م): اخبار الدولة الخوارزمية وآثارها الاولى في التاريخ، تحقيق ، احمد حطيط ، عالم الكتب (بيروت، د.ت)، ص149.
- (92) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، م14، ص7؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج8، ص183؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص284.
- (93) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص347؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص368.
- (94) ابن الاثير، ابو الحسن عزالدين علي بن ابي الكرم (ت630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، دار صادر (بيروت، 1965م)، م5، ص133؛ ينظر العمادي، زهير محمد احمد، الخليفة هارون الرشيد وأثره في تنشيط الحركة العلمية، رسالة ماجستير، كلية الشريعة الدراسات الاسلامية، جامعة اليرموك، اربد، الاردن، 1998م، ص61.
- (95) طلس، محمد سعيد، تاريخ الدولة العباسية منذ عهد أبي العباس السفاح الى نهاية عهد المعتصم بالله من سنة 132-232هـ، دار الاندلس، بيروت، 1960م، ص124.
- (96) الدفاع، علي عبدالله، العلوم البحتة في الحضارة العربية الإسلامية، ط2، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1983م، ص21؛ ليسنر، يعقوب، خطط بغداد في العهود العباسية الأولى، ترجمة صالح أحمد العلي، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1984م، ص232.
- (97) الخطيب، البغدادي، تاريخ بغداد، م1، ص47.
- (98) الخطيب، البغدادي، تاريخ بغداد، م1، ص46.
- (99) اليعقوبي، البلدان، ص3-4.
- (100) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، م1، ص43.
- (101) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، م1، ص43.

(102) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 130.

(103) سورة العلق: الآية (1- 5).

(104) مجموعة باحثين، حضارة العراق، ط1، دار الحرية بغداد، 1406هـ/1985م، ج8، ص37؛ معروف، ناجي، المدخل في تاريخ الحضارة العربية، ط2، مطبعة وزارة المعارف، بغداد 1381هـ/1961م، ص194.

(105) معروف، ناجي، أصالة الحضارة العربية، ط2، مطبعة التضامن بغداد، 1380هـ/1969م، ص465، خزعل، سهاد، المساجد وأثرها في التعليم، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، ع11، 1423هـ/2002م، ص232، الولي، طه، المساجد في الإسلام، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1409هـ/1988م، ص163.

(106) ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (ت 276هـ)، عيون الأخبار، تعليق وتقديم علي يوسف الطويل، بيروت، دار الكتب العلمية، 1985م، ص 305- 306.

(107) لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ط2، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1956م، ص 451.

(110) سورة التوبة: الآية (18).

(111) البخاري: أبو عبدالله محمد بن اسماعيل (ت256هـم 870م)، صحيح البخاري، مطبعة المصطفائي (د.م: 1307هـ)، ص122.

(112) ابن جبير، محمد بن احمد بن جبير (ت: 614هـ/1217م) رحلة ابن جبير، تحقيق: حسين نصار، الدار المصرية للطباعة، (القاهرة: 1374، 1955م)، ص230- 231.

(113) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص424-425.

(112) اسحاق، رفائيل بابو، مدارس العراق قبل الإسلام، ط1، دار الوراق، لندن، 1427هـ / 2006م، ص14.

(113) امين، احمد: ضحى الاسلام، ط2، دار المعارف المصرية (القاهرة، 1970م)، ج2، ص 10.

(114) احمد امين: ضحى الاسلام، ج2.

(115) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، دار الكتاب العربي، ط2، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، 1990، ج4، ص7.

(116) الكبيسي، حمدان عبد المجيد، ملامح من الحياة الثقافية والفنية في العراق خلال العصور الإسلامية، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، ع 12-13، 1423هـ/2002م، ص279.

(117) العمري، تاريخ العلم، ص33.

(118) مكيه، محمد، بغداد، ط1، دار الوراق، بيروت، 1426هـ / 2005م، ص168.

(119) الجهني، علي بن علي بن محمد، المكتبات الإسلامية، ط1، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1425هـ / 2004م، ج1، ص268؛ الفياض، عبدالله، دور العلم وخزائن الكتب في العصر البويهى، المجلة التاريخية، ع1، 1390هـ / 1970م، ص68.

(120) الجهني، المكتبات الإسلامية، ج1، ص339؛ العمري، تاريخ العلم، ص36.

(121) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، م2، ص 22-23؛ العليمي، المنهج الأحمد، ج1، ص 135؛ ينظر حمادي، عبد الخضر جاسم، موارد الروايات التاريخية عند البخاري في كتابه التاريخ الكبير، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة، جامعة بغداد، 1998م، ص28.

(125) الغزي المصري: نقي الدين بن عبد الباقر التميمي الداري الغزي المصري الحنقي (ت1005هـ / 1596م)، طبقات السنية في تراجم الحنفية، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو، ج4، ط1، دار الرفاعي (الرياض: 1403هـ/1983م)، ص79- 80.

(126) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص295.

(130) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج20، ص573- 575؛ تذكره الحفاظ، ج4، ص1321- 1323.

(131) ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص226.

(132) ابي الوفاء القرشي، عبد القادر بن محمد بن ابي الوفاء (ت775هـ/1373م): الجواهر المضيئة، ط2، تحقيق،، محمد عبدالفتاح الحلو، دار احياء الكتب العربية ودار العلوم بالرياض، مطبعة هجر للطباعة والنشر (الرياض، 1408هـ/1988م)، ج3، ط2، ص208-209.

(133) القرشي، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، ج3، ص120-121.

(134) الصفدي، صلاح الدين بن ايبك (ت764هـ/1363م)، الوافي بالوفيات، اعتناء مجموعة من الاساتذة سلسلة النشرات الاسلامية لجمعية المستشرقين الالمانيين بأشراف هلموت ريتز، دار فرنز شتايز (1392هـ/1972م) ج5، ص88.

(135) ابن الديبثي: محمد بن سعيد (ت637هـ/1239م)، ذيل تاريخ بغداد، ج2، مصور بمكتبة الدراسات بكلية الآداب، جامعة بغداد، رقم 574، عن مخطوطات المكتبة المركزية بباريس رقم 5921، ص19.

(136) ابن الديبثي : ذيل تاريخ بغداد ، ج2، ص19.

(137) ابن الديبثي : ذيل تاريخ بغداد ، ج2، ص19، ج2، ص19.

(138) ابن الديبثي : ذيل تاريخ بغداد ، ج2، ص53.

(139) ابن الديبثي : ذيل تاريخ بغداد ، ج2، ص53.